سلسلة السيرة النبوية



ابتسامات الرسول

إعداد: مسعود صبري
رسوم: محمد عبد الله

رقم الإيداع: ٢٠٠٥/١٨٨٧٩

ذهب أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه إلى بيت النبي ﷺ، فإذا به يسمع عائشة تكلّم النبي ﷺ بصوت عال، فأراد الصدّيق أن يضربها؛ تأديبًا لها على رفع صوتها، فأسرع الرسول ﷺ، وأمسك أبا بكر، ومنعه من ضرب عائشة، فخرج أبو بكر مغضبًا من عائشة، فإذا به يسمع النبي ﷺ يداعب عائشة، ويقول لها: أرأيتِ كيف منعتك من الرجل؟ وبعد عدة أيام، زار أبو بكر النبي ﷺ وعائشة، فوجدهما يضحكان، فقال أبو بكر لهما: أدخلاني في سِلْمكما، كما أدخلتماني في حربكما". فقال له النبي ﷺ: قد فعلنا.. قد فعلنا، يداعب أبا بكر - رضي الله عنه.



جاء رجل إلى النبي ﷺ، وهو مع أصحابه، فقال الرجل للرسول ﷺ: احملني يا رسول الله؟ فقال الرسول ﷺ للرجل: أنا سوف أحملك على ولد ناقة. فتعجب الرجل، وقال: كيف هذا يا رسول الله؟ وولد الناقة صغير لا يحملني. فقال له الرسول ﷺ: "وهل تلد الإبل إلا النوق؟"، فقد كان النبي ﷺ يمازحه، فالناقة الكبيرة، ما هي إلا مولود، كان صغيرًا فكبر، ولكن الرسول ﷺ أراد أن يُدخل السرور على قلب الرجل.



كان زاهر صحابيًا من أهل البادية، وكان يأتي للنبي ﷺ بالهدية من البادية، وكان ﷺ يحبه حبًا كثيرًا، وذات يوم، رآه النبي ﷺ في السوق، فأمسكه ﷺ من الخلف، وهو يمزح معه، وقال ﷺ: "من يشتري العبد". فخاف زاهر، وقال، وهو يريد أن يُبعد الرسول ﷺ، دون أن يعرف: أرسلني، من أنت؟ فلما التفت وجد النبي ﷺ، فترك نفسه، وهو يقول: يا رسول الله، لو بعتني، لن آتي بثمن كبير. فقال النبي ﷺ له: "ولكن عند الله أنت غالٍ". وقد فعل ﷺ ذلك؛ ليمزح مع زاهر، ويُدخل السرور على قلبه.



في ليلة من الليالي، جلس النبي ﷺ مع نسائه يحدثهنَّ، ويحكي لهنَّ ما يخفف عنه، فأعجب زوجاتُ الرسول ﷺ بحديثه، فقالت واحدة منهنَّ: يا رسول الله، كأن الحديث حديث خرافة. فأراد الرسول ﷺ أن يُضحِك زوجاته، فقال لهن: أتدرين ما خرافة؟ إن خرافة كان رجلاً من عذرة، أسَرَتْهُ الجن في الجاهلية، فمكث فيهم دهرًا طويلاً، ثم ردوه إلى الإنس، فكان يُحدِّث الناس بما رأى فيهم من الأعاجيب، فقال الناس: حديث خرافة".



كان النبي ﷺ مع أصحابه، فجاءته امرأة عجوز، فدخلت على النبي ﷺ، وألقت عليه السلام، ثم قالت له: يا رسول الله، ادعُ الله أن يدخلني الجنة. ولكن المرأة فوجئت أن الرسول ﷺ يقول لها: يا أم فلان، لا يدخل الجنة عجوز. فجعلت المرأة تبكي كثيرًا؛ لأنها تظن أنها لن تدخل الجنة، ثم أرادت أن ترحل، وتذهب بعيدًا، وهي تبكي، فأخبر الرسول ﷺ أصحابه، أن يخبروها أنها ستدخل الجنة، ولكنها لن تكون عجوزًا؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا. عُرُبًا أَتْرَابًا﴾، أي سيجعل من يدخلون الجنة شبابًا، وإنما أراد النبي ﷺ أن يمازح المرأة، ويداعبها.



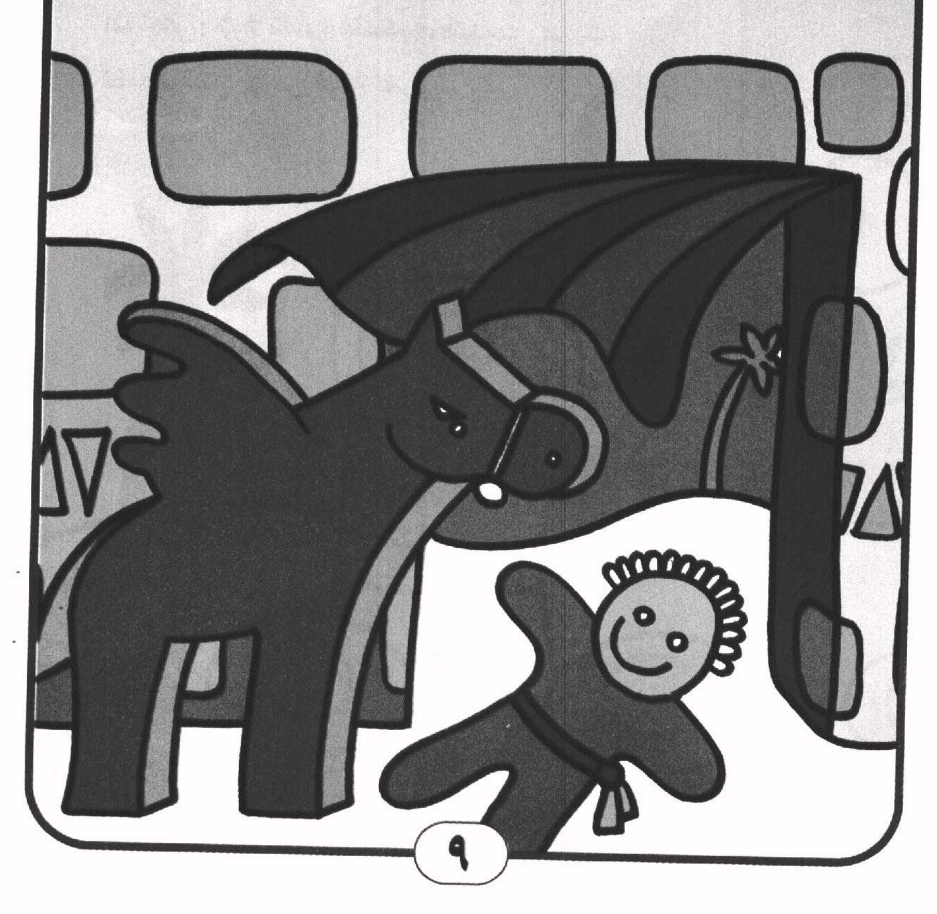
ذات يوم، زار عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- النبيَّ ﷺ، وكانَ عند النبي ﷺ نسوة يتكلمْنَ، ويرفعْنَ أصواتهنَّ، فلما علمنَ بمجيء عمر بن الخطاب، أسرعنَ يخفينَ أنفسهنَّ، فضحك الرسول ﷺ. فسأل عمر رسول الله عن سر ضحكه، فأخبره النبي ﷺ بحكاية النساء، اللائي أسرعن يُخفينَ أنفسهن، فقال عمر: أنت أحقُّ أن يخفْنَ منك يا رسول الله. فقالت النساء: إنك أفظُّ وأغلظُ من رسول الله ﷺ. فقال ﷺ: "إيْه يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده، ما لقيَك الشيطان سالكًا فجًّا، إلا سلك فجًّا غير فجِّك".



جاء رجل إلى النبي ﷺ، حزينًا، فسأله النبي ﷺ عن سبب حزنه، فقال الرجل: هلكت يا رسول الله؟ فسأله الرسول عن السبب، فقال له: جامعت زوجتي في نهار رمضان. فأمره ﷺ أن يحرِّر عبدًا، فقال الرجل: ليس لي عبد. فقال له النبي ﷺ: صمْ شهرين متتابعين. فقال الرجل: لا أستطيع. فقال له الرسول ﷺ "أطعم ستين مسكينًا". فقال الرجل: ليس عندي مال. ثم دخل الرسول ﷺ، وأتى للرجل بإناء فيه تمر، ثم أعطاه الرجل، وقال له: تصدق بهذا. فقال الرجل: ليس هناك أفقر مني في المدينة، فضحك النبي ﷺ، وأمره أن يتصدق بالتمر على أهله.



كـان لعائشـة ـ رضـي الله عنهـا ـ لُعَبٌ تلعب بهـا، فـدخل عليهـا النبـي ﷺ، ووجدها تلعب بلُعَبها، فقال لها: مـا هذا يـا عائشـة؟ قالت، وهي تشير إلـى بعض العرائس: بناتي. فقال لها النبي ﷺ: ما هذا الذي في وسطهن؟ قالت له: هذا فرس. فقـال لهـا النبـي ﷺ: ومـا هـذا الـذي عليـه؟ قالـت: جنـاحـان. فقال لها يداعبها: فرس له جناحان؟ فقالت عائشـة رضـي الله عنهـا: أو مـا سمعت أنـه كـان لسليمان بن داود خيل لهـا أجنحـة. فضحك رسـول الله ﷺ من قول عائشة.



كان عمرو بن العاص قائدًا على المسلمين، في غزوة ذات السلاسل، وفي إحدى الليالي، قام المسلمون لصلاة الصبح، فوجد عمرو بن العاص- رضي الله عنه- نفسه جُنُبًا، فأراد الاغتسال، لكن كانت ليلة شديدة البرد، فتيمَّم، وصلَّى بالمسلمين، وأخبرهم بذلك. فلما رجعوا إلى المدينة، شكوا إلى الرسول ﷺ ما فعله عمرو، فقال له النبي ﷺ: يا عمرو، صليت بأصحابك، وأنت جنب؟ فأخبر عمرو الرسول ﷺ، أن الليلة كانت شديدة البرد، وأنه خشي على نفسه الهلاك، وقال: تذكرت قول الله تعالى: ﴿ولا تقتلوا أنفسكم﴾، فتيممت وصليت، فضحك النبي ﷺ من فِطنة عمرو.



في إحدى الغزوات، خرجت السيدة عائشة- رضي الله عنها- مع النبي ﷺ، فأمر الرسول ﷺ الصحابة أن يتقدموا، وتأخر هو وعائشة، وطلب منها أن يتسابقا، فسبقته السيدة عائشة. وبعد عدة سنوات، خرجت السيدة عائشة في سفر مع الرسول ﷺ، فأمر الصحابة أن يتقدموا، وطلب الرسول من السيدة عائشة أن يتسابقا. فقالت له: كيف أسابقك يا رسول الله، وأنا على هذه الحال؟ فأقسم عليها الرسول ﷺ أن تسابقه. فوافقت، فسبقها النبي ﷺ، وظلّ ﷺ يضحك، وهو يداعب عائشة، ويقول لها: "هذه بتلك"، يعني واحدة بواحدة.



كان النبي ﷺ مع أصحابه، وفيهم رجل من أهل البادية، وهو يقصُّ عليهم قصة رجل من أهل الجنة، يحب الزرع، فاستأذن الرجل ربَّه سبحانه وتعالى في الزرع، فتعجب الله من الرجل – وهو أعلم بحاله – كيف يريد الزرع، وهو في غير حاجة إليه، فقال الرجل: ولكني أحبُّ أن أزرع، فأسرع وبذر، فبادر الطرف نباته واستواؤه، واستحصاده، وتكويره أمثال الجبال. فيقول الله -عزّ وجلّ-: دونك يا ابن آدم، فإنه لا يشبعك شيء. فبينما الرسول ﷺ يقصُّ على الصحابة، فإذا بالأعرابي يقول: يا رسول الله، لا تجد هذا إلا قرشيًّا أو أنصاريًّا. فإنهم أصحاب زرع، فأمَّا نحن، فلسنا بأصحاب زرع. فضحك رسول الله ﷺ من قوله.



لما أنزل الله تعالى قوله: ﴿وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾، فسمع عدي بن حاتم هذه الآية، فأخذ عقالاً أبيض، وعقالاً أسود، ووضعها تحت وسادته، ولكن لشدة الظلام، لم يتبين شيئًا؛ لأنّه في حجرته. فذهب إلى رسول الله ﷺ، وحكى له ما فعل، من أنّه أخذ عقالاً أبيض، وآخر أسود، ووضعها تحت الوسادة، فلم يتبين شيئًا، فضحك النبي ﷺ من فعله، وقال له: "إن وسادك لعريضٌ طويلٌ، وإنّما هو الليل والنهار"، يعني: حتى يتبين بياض النهار وصبحه، من سواد الليل، وليس المقصود به الخيط المعروف.



حاصر الرسول ﷺ الطائف عدة أيام، ولكن لم يفتح الله تعالى عليه، فعزم الرسول ﷺ على العودة إلى المدينة؛ ليحافظ على الجيش، فأشار إلى الصحابة، أنه يريد الرجوع، قائلاً لهم: "إنَّا قافلون غدًا". فغضب الصحابة، وقالوا: نعود دون أن نفتح الطائف. فأمرهم الرسول ﷺ بالقتال في اليوم التالي، فقاتلوا، فأصيبوا بجراح، فقال لهم النبي ﷺ: إنَّا قافلون غدًا"، فرضوا، فضحك النبي ﷺ من موافقتهم، بعد رفضهم بالأمس.



كان أنس بن مالك- رضي الله عنه- يمشي مع الرسول ﷺ يومًا، وكان الرسول يلبس ثوبًا خشنًا، فجاءه أعرابي، وقال بصوت مرتفع لرسول الله ﷺ، وهو ممسك بثيابه: يا محمد، أعطني من المال الذي عندك، فإنه مال الله تعالى، فضحك النبي ﷺ، وأمر له بعطاء؛ لأنه كان يعرف أن من الأعراب من فيهم قسوة وغلظة.



كان رسول الله ﷺ يأمر الصحابة، إذا رأى أحدهم رؤيا أن يقصّها عليه. وبينما الرسول ﷺ جالس في أصحابه، إذا برجل يريد أن يقصّ عليه رؤيا رآها. فقال الرجل: يا رسول الله، رأيت كأنّ رأسي قُطِع. فضحك النبي ﷺ، وقال لأصحابه: "إذا لعب الشيطان بأحدكم في منامه، فلا يُحدّث به الناس". وعلّم الرسول ﷺ أصحابه، أن ما يراه الإنسان في المنام، إما أن يكون رؤيا من الله، أو حلمًا من الشيطان، أو يكون ما يراه الإنسان حديث نفس، كأن يكون منشغلاً بشيء، فيراه في منامه، لشدة اهتمامه به.

